إتحاف الأجواد

بكلام أهل العلم والرشاد

بعدم اختصاص صفة الكلام للباري

بكونها قديمة النوع حادثة الآحاد

قرأه وقدم له

فضيلة الشيخ أ . د : فلاح إسماعيل مندكار

كتبه

يوسف بن علي الطّايي عفي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ أ. د. فلاح إسماعيل مندكار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ومن والاه.

وبعد:

قرأت ما جمعه أخونا الشيخ يوسف بن علي الطائي من أقوال أهل العلم قديمًا وحديثًا حول موضوع أقسام صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومعلوم أنَّ المشهور في ذلك هو تقسيمها إلى صفات ذاتية، وصفات فعلية، ولكن رأيت وسمعت، كما رأى غيري أن البعض من طلبة العلم يقررون قسمًا ثالثًا، ويخصون هذا القسم بصفة الكلام فقط، ويقررون أنها ذاتية وفعلية، فيكون تقسيمهم لصفات الله تعالى تقسيمًا ثلاثيًّا:

١- صفات ذاتية.

٢- صفات فعلية.

٣- صفات ذاتية فعلية.

ثم ينسبون هذا التقسيم إلى بعض أهل العلم والفضل.

والحق أن شبهتهم في هذا كما قرره أهل العلم في مثل هذا أنَّهم لم يجمعوا ما قاله ذاك العالم في هذا الباب، وربما أطلق القول في موضع ومعرض رد ومناقشة، مع تفصيله للقول في موضع آخر، وربما يكون أحيانًا من سوء فهم أيضًا.

وإنَّ من فضل الله تعالى عليَّ أن وفقني سبحانه لدراسة العلم الشرعي في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي مسجده المبارك، وفي الجامعة الإسلامية المباركة الدراسة النظامية على أيدي نخبة من العلماء الربانيين رحم الله من مات منهم، وحفظ من بقي منهم، ونفع بهم.

ومما أذكر في هذا الباب ما قرره شيخنا الكريم الفاضل الشيخ عبدالكريم مراد رحمه الله رحمة واسعة، والذي درسنا عليه في الجامعة «العقيدة الطحاوية»، كما درسنا عليه في الحرم المدني «الرسالة التدمرية»، فقرر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن القسمة ثنائية:

١- صفات الذات: وهي التي لا تنفك عن ذات الله.

وهي أزلية أبدية، مثل: السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة.

٢- صفات الفعل: وهي المتعلقة بمشيئة الله تعالى، يفعلها متى شاء على مقتضى الحكمة، وأنها قديمة النوع حادثة الآحاد والأفراد، فباعتبار نوعها هي ذاتية، يقال فيها ما يقال في القسم الأول تمامًا، وباعتبار آحادها وأفرادها هي فعلية تنفك، فيفعلها حسب المشيئة والحكمة، وهذا يعم جميع صفات الفعل: الخلق والرزق والغضب والرضى والكلام والاستواء والنزول.

وأذكر أيضًا ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في التفريق بين الذاتية والفعلية قوله: إن عدم انفكاك الذاتية وملازمتها لذات الله تعالى أزلا وأبدًا هو مقتضى الجلال والكمال والجمال، وأن انفكاكها نقص وعجز، بخلاف الفعلية فإن انفكاكها هو مقتضى الجلال والكمال والجمال، وأنَّ عدم انفكاكها هو عين النقص والعجز والعيب.

وقال: إن مثل هذا يقال في المخلوق أيضًا، ألا ترى أنَّ من لا يسكت أبدًا، ويتكلم على الدوام أنه عيب في حقه، وأنَّ الأصل والكمال أن يتكلم متى حسن الكلام، وأن يسكت متى حسن له السكوت.

ومما قاله أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ صفات الذات لا يجوز وصف الله بأضدادها أبدًا؛ لأن ذلك نقص وعيب وعدم كمال في حقه سبحانه، وأما صفات الفعل فيجوز وصف الله تعالى بأضدادها وقد جاء أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم ويسكت، كما جاء أنه سبحانه يرضى ويغضب، وكذلك علوه ونزوله جَلَّ جَلَالُهُ.

ومما أذكره أيضًا أن عامة علمائنا ومشايخنا يقررون نحو هذا، من أمثال شيخنا الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرهم كثير.

الشاهد أنَّ أخانا الشيخ يوسف حفظه الله ونفع به ذكر جملة من أقوال أهل العلم والحق تقريرًا لهذا التقسيم، فجزاه الله خير الجزاء، ونفع به، ووفقه لما يحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

محبكم/ فلاح إسماعيل مندكار

السادس من ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ

الموافق ٢٠١٧/١٢/٢٤ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ غير واحد من أهل العلم ممن كتب في المعتقد خصَّ - عند التعرض لبيان كون صفات الله تعالى تنقسم إلى صفات فعلية وذاتية - صفة الكلام بأنها ذاتية من حيث الأصل فعلية باعتبار آحاد الكلام، وأنها قديمة النوع حادثة الآحاد.

ومن هنا وجدت الكثير من طلاب العلم يظن أن هذا مما تختص به صفة الكلام !

وهذا الفهم لا شك في عدم صحته، وأنه غير مراد لأولئك الأفاضل الذين خصوا صفة الكلام بالتنبيه، فإن هذا مما يقال في صفات الأفعال كلها، وإنما خصت صفة الكلام بالتنبيه؛ لقوة النزاع فيها وشهرته.

فالعلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على سبيل المثال هو ممن خص صفة الكلام بالتنبيه على أنها فعلية ذاتية قديمة النوع حادثة الآحاد، حيث قال في (القواعد المثلى): (الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية، كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾)[1].

وقد بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه على (القواعد المثلى) أن صفة الكلام لا تختص بذلك، وأن سائر الصفات الفعلية مثلها، حيث قال:

(فإن قال قائل: لماذا خصصتم الكلام على صفة الكلام دون سائر الصفات، مع أن الصفات الفعلية كلها من حيث جنسها ذاتية؟

فالجواب: لأنَّ الكلام هو محط النزاع بين أهل السنة وأهل البدع، يعني: ما وجد شيء امتُحن فيه أهل السنة كالكلام)[2].

فهذا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أحد من خصَّ صفة الكلام بالتنبيه يبين أنها لا تختص بذلك عن سائر الصفات الفعلية.

---

(١) القواعد المثلى (٢٥).

(٢) شرح القواعد المثلى (١٤٧).

ولعلماء السنة في تقرير هذا الأصل – وهو كون جميع الصفات الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد – كلام كثير، أحببت نشر بعضه بيانًا للمعتقد الصحيح، ودفعا للبس الناشئ عند طلاب العلم من تخصيص بعض العلماء صفة الكلام بالتنبيه على كونها قديمة النوع حادثة الآحاد.

أقوال بعض أهل العلم
في تقرير كون الصفات الفعلية
كلها قديمة النوع حادثة الآحاد

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تقرير هذا المعنى معروف مشهور، وقد عزا إليه غير واحد من أهل العلم القول بأن صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، ومما وقفت عليه من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تقرير هذا المعنى قوله:

(قالت الجهمية والمعتزلة: المتكلم من فعل الكلام، والله تعالى لما أحدث الكلام في غيره صار متكلمًا.

فيقال: لهم: للمتأخرين المختلفين هنا ثلاثة أقوال:

- قيل: المتكلم من فعل الكلام، ولو كان منفصلًا، وهذا إنما قاله هؤلاء.

- وقيل: المتكلم من قام به الكلام، ولو لم يكن بفعله، ولا هو بمشيئته ولا قدرته، وهذا قول الكلابية والسالمية ومن وافقهم.

- وقيل: المتكلم من تكلم بفعله ومشيئته وقدرته، وقام به الكلام، وهذا قول أكثر أهل الحديث وطوائف من الشيعة والمرجئة والكرامية وغيرهم.

فأولئك يقولون: هو صفة فعل منفصل عن الموصوف، لا صفة ذات.

والصنف الثاني يقولون: صفة ذات لازمة للموصوف لا تتعلق بمشيئته ولا قدرته.

والآخرون يقولون هو صفة ذات وصفة فعل، وهو قائم به متعلق بمشيئته وقدرته.

وإذا كان كذلك فقولهم: إنه صفة فعل ينازعهم فيه طائفة وإذا لم ينازعوا في هذا، فيقال: هب أنه صفة فعل منفصلة عن القائل الفاعل، أو قائمة به.

أما الأول فهو قولكم الفاسد، وكيف تكون الصفة غير قائمة بالموصوف، أو القول غير قائم بالقائل.

وقول القائل: الصفات تنقسم إلى صفة ذات وصفة فعل - ويفسر صفة الفعل بما هو بائن عن الرب - كلام متناقض كيف يكون صفة للرب وهو لا يقوم به بحال، بل هو مخلوق بائن عنه؟!

وهذا وإن كانت الأشعرية قالته تبعًا للمعتزلة فهو خطأ في نفسه، فإن إثبات صفات الرب وهي مع ذلك مباينة له جمع بين المتناقضين المتضادين.

بل حقيقة قول هؤلاء إن الفعل لا يوصف به الرب، فإن الفعل هو المخلوق، والمخلوق لا يوصف به الخالق، ولو كان الفعل الذي هو المفعول صفةً له لكانت جميع المخلوقات صفات للرب، وهذا لا يقوله عاقل، فضلًا عن مسلم.

فإن قلتم: هذا بناء على أن فعل الله لا يقوم به، لأنه لو قام به لقامت به الحوادث.

قيل: والجمهور ينازعونكم في هذا الأصل، ويقولون: كيف يعقل فعل لا يقوم بفاعل، ونحن نعقل الفرق بين نفس الخلق والتكوين، وبين المخلوق المكون.

وهذا قول جمهور الناس كأصحاب أبي حنيفة، وهو الذي حكاه البغوي وغيره من أصحاب الشافعي عن أهل السنة، وهو قول أئمة أصحاب أحمد كأبي إسحاق بن شاقلا وأبي بكر عبد العزيز وأبي عبد الله بن حامد والقاضي أبي يعلى في آخر قوليه، وهو قول أئمة الصوفية وأئمة أصحاب الحديث، وحكاه البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» عن العلماء مطلقا، وهو قول طوائف من المرجئة والشيعة والكرامية وغيرهم.

ثم القائلون بقيام فعله به، منهم من يقول: فعله قديم والمفعول متأخر، كما أن إرادته قديمة والمراد متأخر، كما يقول ذلك من يقوله من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم، وهو الذي ذكره الثقفي وغيره من الكلابية لَمَّا وقعت المنازعة بينهم وبين ابن خزيمة.

ومنهم من يقول: بل هو حادث النوع، كما يقول ذلك من يقوله من الشيعة والمرجئة والكرامية.

ومنهم من يقول: هو يقع بمشيئته وقدرته شيئا فشيئا لكنه لم يزل متصفا به، فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك من يقوله من أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد)[١].

وقوله: (فجاءت أخباره في هذا الباب يذكر فيها أفعال الرب: كخلقه ورَزقه وعدله وإحسانه وإثابته ومعاقبته، ويذكر فيها أنواع كلامه وتكليمه لملائكته وأنبيائه وغيرهم من عباده، ويذكر فيها ما يذكره من رضاه وسخطه وحبه وبغضه وفرحه وضحكه، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الباب.

والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

الجهمية المحضة من المعتزلة ومن وافقهم يجعلون هذا كله مخلوقًا منفصلًا عن الله تعالى.

والكلابية ومن وافقهم يثبتون ما يثبتون من ذلك، إما قديمًا بعينه لازمًا لذات الله، وإما مخلوقًا منفصلًا عنه.

وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام، يقولون: بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته، كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

ثم بعض هؤلاء قد يجعلون نوع ذلك حادثًا، كما تقوله الكرامية، وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثًا، بل قديمًا،

(١) منهاج السنة (٢/ ٣٧٦-٣٧٩).

ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه، فإنَّ نعيم أهل الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد من الأعيان الفانية، ومن الأعيان الحادثة ما لا يفنى بعد حدوثه، كأرواح الآدميين، فإنها مبدعة، كانت بعد أن لم تكن، ومع هذا فهي باقية دائمة)[1].

(٢-٣) ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والشيخ محمد بن خليل الهراس

وقول ابن القيم بهذا مشهور عنه، وقد عزاه إليه غير واحد من أهل العلم، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (نونيته) مقررًا هذا المعنى:

والآخرونَ أولو الحديثِ كأحمدٍ ... ذاكَ ابنُ حنبلٍ الرِّضا الشَّيباني

قد قال إنَّ الله حقًّا لم يزل ... متكلما إن شاء ذو إحسان

جعل الكلام صفاتِ فعلٍ قائمٍ ... بالذات لم يُفقد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بلْ ... إحسان أيضًا في مكانٍ ثان

وكذا ابن عباس فراجع قوله ... لمَّا أجاب مسائل القرآن

وكذاك جعفرٌ الإمام الصادق الـ ... ـمقبول عند الخلق ذو العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسنًا ... برًّا جوادًا عند كل أوان

قال الشيخ محمد بن خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شارحًا هذه الأبيات: (وأما الفرقة الثانية من القائلين: بأن فعله تعالى حادث وقائم بذاته فهم أصحاب الحديث، كالإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٤٨).

هؤلاء ذهبوا إلى ما دلت عليه النصوص الصريحة، وحكم به العقل السليم من أن الله لم يزل متصفًا بصفات كماله سواء ما كان فيها لازمًا لذاته، أو ما كان متعلقًا بمشيئته وقدرته، ليس لما يحدث في ذاته عندهم ابتداء، بل يقولون لم يزل الله متكلمًا إذا شاء بما شاء وكيف شاء.

وكذلك لم يزل فاعلًا لما أراد، فكل من فعله وكلامه صفة كمال له، لا يجوز خلوه عنها في وقت من الأوقات؛ لأن الخلو عن الكمال الممكن نقص مستحيل على الله، ولا يلزم من دوام فعله وكلامه قدم شيء من المفعولات، فإن الله لم يزل يفعل الأشياء ويحدثها شيئًا بعد شيء، وكذلك لم يزل متكلمًا بما شاء، فكل من الكلام والفعل قديم النوع، ولكن آحاده لم تزل تحدث في ذاته سبحانه بلا بداية ولا انقطاع، وهذا مستلزم للتسلسل في الآثار، وهو ليس بممتنع، بل دل الشرع والعقل على ثبوته، وإنما الممتنع هو التسلسل في العلل والمؤثرين.

وقوله في البيت الثاني: «ذو إحسان» خبر ثان لإنَّ، أي لم يزل محسنًا كما لم يزل متكلمًا، وقوله في البيت الرابع: «وكذلك نص» إلخ، يعني به أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه نص في مكان آخر من كتابه الذي رد به على الجهمية على دوام فعله سبحانه بدوام إحسانه، كما نص على ذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيما أجاب به على مسائل القران، وكذاك جعفر الصادق من أئمة أهل البيت المشهود لهم بالورع والتقوى والمعرفة الحقة.

وقال: «لم يزل المهيمن محسنًا برًّا جوادًا» في كل وقت وحال، وهذا إثبات لدوام فعله سبحانه واستمراره في أوقات الزمان كلها بلا بداية ولا انقطاع)[١].

(٤-٥-٦): أبو جعفر الطحاوي، وابن أبي العز الحنفي، ومحمد أمان الجامي رحمهم الله تعالى أجمعين

فقد ذكر الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كلام الطحاوي في هذا المعنى، وشرحه لابن أبي العز، وعلق على ما قالا مقرًّا ومؤيدًا، وفي كلام ابن أبي العز والشيخ محمد أمان رحمهما الله تعالى شرحٌ متقن قيم لمعنى كون صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، فاعتنِ به رُزِقتَ السداد.

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قال الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة: « ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًّا».

وهذا كلام موجز جدًّا، ولكنه مليء يحمل في طياته معنىً عظيمًا وعميقًا.

قال الشارح[٢] -وهو يشرح هذا الكلام ويوضحه-: «أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل متصفًا بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل،

---

(١) شرح القصيدة النونية (١١٨١)، وانظر شرح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لهذه الأبيات، فكلامه في شرحها بمعنى كلام الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(٢) يعني: ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ولا يجوز أن يعتقد أن الله اتصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاتِه سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، فلا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده».

ثم قال الشارح: «ولا يرد على هذه القاعدة صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير والإحياء والإماتة والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضى، ونحو ذلك مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه ورحمه لَمَّا سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

ثم قال الشارح: «وإن كانت هذه الأفعال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة: «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله، ولن يغضب بعده مثله».

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصغير والخرس، ثم تكلم

يقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمَّى متكلمًا بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل. اهـ.

وفي ضوء كلام الإمام الطحاوي: «ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه» إلى آخره، ثم كلام الشارح الذي أوضح المسألة بما لم يترك مجالًا للتساؤل أو التردد، نستطيع أن نقول: إن صفات الله تعالى ثابتة أزلًا وأبدًا، ولا تتجدد سواء في ذلك صفات الذات -والأمر فيها واضح- أو صفات الفعل على ما تقدم، وفي ضوء ذلك نقول: إن تجدد صفات الفعل في وقت دون وقت لا يقال فيه: إنه تعالى اتصف بصفة كان فاقدها، أو كانت ممتنعة في حقه، أو فعل فعلًا كان ممتنعًا في حقه، كما يزعم بعض أهل الكلام المذموم، بل الفعل ممكن في حقه تعالى في كل وقت؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد أنه تعالى كان معطلًا عن الفعل في وقت من الأوقات؛ لأن الفعل كمال، وعدمه نقص، بمعنى أن الفعل كان ممتنعًا، ثم انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، كما تقول المعتزلة.

ومن إذا أراد أن يفعل فَعَلَ، ولا مانع له من الفعل فهو فاعل، باشرَ الفعل، أو لم يباشر على ما تقدم في صفة الكلام، ولعل قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ يدل على هذا المعنى.

وأحسب أن هذا ما يعنيه القائلون باستمرارية أفعال الرب تعالى وأبديتها، بل وأزليتها، كما يقول ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وجمهور أهل العلم.

وهذا المعنى وارد شرعًا وعقلًا كما ترى، وكيف يسوغ عقلًا أن يعتقد أن الله تعالى كان معطلًا عن الفعل في لحظة من اللحظات، فمن الذي يمنعه ويحول بينه وبين أن يفعل ما يشاء إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يزعمه المعطلون علوًّا كبيرًا)[١].

(٧) العلامة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

وكلامه في هذا المعنى جاء تعليقًا على كلام للسفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فأنقل لك كلام السفاريني أولًا، ثم أتبعه بتعليق الشيخ عليه.

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فسائر الصفات الذاتية من الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والكلام وغيرها، وسائر الصفات الخبرية من الوجه واليدين والقدم والعينين ونحوها، وسائر صفات الأفعال من الاستواء والإتيان والمجيء والتكوين ونحوها قديمة لله، أي: هي صفات قديمة عند سلف الأمة وأئمة الإسلام لله ذي الجلال والإكرام، ليس منها شيء محدث، وإلا لكان محلًا للحوادث، وما حل به الحادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك)[٢].

قال سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أنا قد قدمنا فيما قبل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام تلميذه ابن القيم الذين هم سادات الحنابلة وأئمتهم ما فيه الكفاية، ولكن لا بد من التنبيه على بعض ذلك؛ ليتبين لك أن

(١) الصفات الإلهية (٢١١).
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٥٨).

نسبة ذلك إلى سلف الأمة وأئمتها من الكذب عليهم، وإنما هو كلام سلف أئمة أهل البدع والضلال الذين ينتسبون إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

فمن ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ذكرا أن مذهب السلف وأئمتها أن أفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديمة النوع حادثة الآحاد، وأن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولم يزل فاعلًا إذا شاء، ولم تزل الإرادات والكلمات تقوم بذاته شيئًا بعد شيء، ونحو ذلك)[١].

(٨) العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فائدة أخرى ذكرها شيخ الإسلام وغيره:

وهي أن صفات الرب القولية والفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد، كالكلام والخلق والرَّزْق والنزول، وأشباه ذلك، ونحو ذلك، فجنس الكلام والخلق والرزق والنزول قديم، وأنواعه تحدث شيئًا فشيئًا على حسب حكمة الرب سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الآية، وكخلق آدم بعد أن لم يكن مخلوقًا، وغير ذلك، وهكذا الرزق والكلام.

وأما صفات الذات كاليد والقدم والسمع والبصر فهي صفات قديمة كالذات)[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التنبيهات اللطيفة (٤٨).

(٩) العلامة عبدالرحمن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في حاشيته على (العقيدة السفارينية) - التي بين في مقدمتها أنه عرضها على العلامة محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وغيره من العلماء الأفاضل، وهذا يفيد إقرارهم لما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ-: (أجمع السلف على أن الله قديم بجميع صفاته، لم يزل ولا يزال، لكن مرادهم: أن صفات الأقوال والأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد)[١].

(١٠) الشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

فقد قال في كتابه النافع (عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وتاريخهم ومذهبهم في الصفات الإلهية): (والحق ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن أفعاله تعالى صفات قائمة به تعالى تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، وتتجدد آحادها، غير أن نوعها قديم)[٢].

(١١) الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

وذلك في قوله: (والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين باعتبار اتصاف الله بها:

القسم الأول: صفات فعلية، كصفة النزول والمجيء والرضا والغضب، ونحوها من الصفات التي يتصف الله بها بحسب مشيئته واختياره، مع العلم أن كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية.

---

(١) حاشية الدرة المضية على عقد الفرقة المرضية (١٧).

(٢) الماتريدية (١/ ٤٦٠).

القسم الثاني: صفات ذاتية، كصفة اليدين...)[١].

هذا ما أحببت إيراده من أقوال أهل العلم في هذه المسألة، وفيه الكفاية لمن أراد الهداية لمذهب أهل السنة فيها، وبه تم المقصود من المكتوب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

(١) تيسير الرب الرحيم شرح لامية الإمام أحمد بن عبدالحليم (٩٥).